

يا كلون النحل وغيرهم يا كلون صنوفاً أخرى من الحيوانات الدنيئة لا تخطر
لاحد منا بال حتى انه لو اكلها ثم قيل له انها هي لتقيأ حتى يمرض ولكن
اباحثين في هذه الحشرات لا يجدون في اكلها ضرراً الا ضرر امتناع العادة
لانهم حللوها فما وجدوا فيها شيئاً يؤذي

الا انه من جملة انواع الطعام الشائعة لدى غيرنا والغريبة لدينا اكل الجراد
فان العرب يا كلونه ويكادون يختصون باكله دون سائر الشعوب حتى ان
يوحنا المعمدان اكل منه مع العسل كما هو مذكور عنه ويقال عن هذا الجراد
انه شهى لذيذ ولقد كان من حقنا ان نأكله او نتعود اكله في هذه الايام
تحقيقاً له او انتقاماً منه لانه اكل من محصولات القطر شيئاً كثيراً حين غزوته
الاخيرة لهذه البلاد . ثم ان العرب البادين يا كلون الضب ايضاً كما ذكر
المتنبى عنهم في بعض تعريضه بهم

ابى ربها ان يترك الوحش وحدها . وان يؤمن الضب الخبيث من الاكل
ولعل شهادة المتنبى بانه خبيث تكون صادقة ولكن لعل البدو
معذورون في اكله لانه كثير بينهم ولان صنوف الاطعمة والبقول قليلة لديهم
الا انه مهما روي لنا عن الرب البادين والحاضرين ومهما ذكروا عن
اهالي سيلان والمكسيك فان كل ذلك لا يبلغ مبلغ ما يجري في بلادنا
المتمدنة التي لا تأكل البزاق وتعاف الضفادع ولكن بعض نساءها او اكثرهن
ياكلن لحوم الكلاب الصغيرة بدعوى انها تسمن بعد الهزال فان هذه العادة
كما يقولون شائعة عندنا وللنساء بتلك الكلاب ولع شديد فاذا كان هذا
صحيحاً فعلي الحكومة ان تستدرك هذه العادة لان لحم الكلب مؤذٍ ولذلك
ضبطت الحكومة كثيرين يذبحون الكلاب ويبيعونها بحجة انها لحوم خراف

او معيز . الا انها ربما تتغاضى عن ذلك لانها تجد نفسها تسمم الكلاب بكثرة
حين تكبر فهي تسلط عليها النساء قبل الكبر وتتخذ من سموم جهالتهم
سما افعل من سمها واخصر سبيلاً . . .



اطالة البقاء

عقد الشاعر المجيد سمو البرنس ارفع الدولة رضا خان سفير دولة ايران
العلية في دار السعادة هذه الحكاية قصيدة باللغة الفارسية ثم ترجمها الى
الفرنسوية فرأينا تعريبها اثاراً لمحاسنها وما فيها من الفكاهة والطلاوة وهي
الا اصنع الي ايتها الخليفة العزيزة فاني اريد ان اقص عليك باسم
الانسانية احدى مدهشات العالم التي رأيتها في سهل ترمجان
فقد كنا زمرة اخوان مجتمعين ذات ليلة على شاطئ النهر في ضوء القمر
وكان الحديث يدور على الشببية والشيخوخة وعلى آلام الحياة . وكان بين
الحضور ضابط ذو ذكاء وعقل ومعرفة وآخر قائد مهندس له الملم بعلوم شتى
وكان الاول سعيداً بالحياة يتمتع بها ملياً بينما كان الثاني ملان الفؤاد بالنم والحزن
وكان كل شيء يبدو للضابط في حديقته هذه الحياة زهوراً جميلة باهرة
الالوان ولكن القائد كان يرى بعكسه كل شيء فيها شوكاً وظلاماً . وكان
عمر الاول ٣٥ سنة قوي البنية لا ينقصه شرط من شروط الصحة والعافية
واما الثاني فكان قد جاوز الخمسين وناب في لثته البياض عن السواد

ولم يكن للضابط ما يدعو الى الشكوى من حظه اذ ان والده كان قد ترك له ثروة عظيمة واذا لم يكن ينقصه شيء في الحياة فكان يردد على الدوام البيت الاتي « اي شيء في الحياة اشهى للنفس من الشباب واي شيء ادعى للرجبة فيه من المذات والمسررات »

فاجابه القائد « ايها العاشق سعيداً اني سائلك بعد عشرين سنة اذا كنت باقياً في عداد الاحياء عن حالتك اذ تكون ادركت عمري الان وشبعت من لذات الحياة . انه لا يمضي ايها الفتى العزيز عشرون سنة حتى يدعوك بالشيخ الهرم واذا ذاك تلازمك فكرة الموت وتحول عيشك الى امر من السم . ان بصري وقد جاوزت الخمسين دائماً التطلع الى القبر ودايم التردد لبيتي سعدي في جلستانه وملخصهما « اي هذا الذي جاوزت الخمسين ولا تزال مستغرقاً في غفلتك اعمل قليلاً في آخر ايامك على ادراك ما فاتك في عهد الشباب وانفذ سلفاً الى قبرك بعض بذور من السعادة اذ ما من احد يوافيك بشيء منها متى صرت اليه » وقد غاص رجلاي في الحماة من هذين البيتين وقلي في لجة من الحزن والاكتئاب . واني لا ادري لماذا جعل الخالق العمر هكذا قصير المدى . لقد كان افضل بكثير لو جعل القدر عمراً ضعيفاً . الستين . اذن لكرس النصف الاول منه للاشغال ذات الحركة والتنقل والنصف الآخر للراحة والسكون . وجعل النصف الاول لاكتساب الخبرة والنصف الثاني للتذوق والتمتع بتلك الخبرة . اني لو كنت اعلم ان عمر الانسان ينطوي هكذا سريعاً لما كلفت نفسي مشقات حمة وحملتها متاعب كثيرة بل كنت انزويت في عزلي بعيداً عن جلبة الناس وضوضائهم . على انك اذا كنت ترغب في الاطلاع على مسبب احزاني وهي فاليك ترجمة حياتي

ان هي ايام كنت صبياً كان في القراءة والكتابة حتى اذا بلغت الحادية عشرة ادخلوني المدرسة حيث تعلمت الفارسية والعربية ثم زدت مواد دروسي بتعلم الفرنسية واللاتينية والروسية . ولما كنت ضعيف البنية فقد اخذ العمل والدرس بانهاك قواي يوماً يوماً الى ان بلغت السادسة عشرة توقعت مريضاً وابعدونني عن المدرسة وعن كل عمل . ولقد ظن الطبيب اني مصاب بالصدر فاخذ بمعالجتي وانقضت سنة كاملة لم تهمل فيها وسيلة من وسائل المعالجة ولكن بدون اذن جدوى او تحسين في حالي عند ذلك اشار علي الاطباء بتبديل الهواء وسكني الخلاء . وبعد سنتين من ذلك العهد نجوت من علتي بفضل هواء ناحية روكنباد فعمات اذ ذاك باشارة والدي ودخلت في كلية طهران ولما كان هو صاحب مطامع فقد اوعز الي ان انصرف الى العلوم الرياضية لاصبح مهندساً . وانه بعد خمس سنوات قضيتها في الغربية بعيداً عن اهلي الاعزاء وفي الدرس والعذاب اتممت دروسي ونلت الشهادة المؤذنة بذلك . ولقد كان عمري ٢٥ سنة حين دخلت في خدمة الحكومة وكان ذلك بداية عهد جديد في الجد والعمل وقضيت الحياة في التنقل والترحل وحيث كانت توجد الاعمال الصعبة من طرق تنشأ او حدود تخطط فهناك كنت اجد لا فرق بين الصيف والشتاء حتى اذا انقضت ١٥ سنة في امثال هذه الخدم الجليلة نلت رتبة كولونيل ولقب خان ولو لم يتصاقب نبلي هذه الرتبة واللقب مع وفاة ابي لوجدت نفسي سعيداً من حياتي ومن حظي ومن خدمتي ولكن لا شهد في هذه الدنيا بدون ابر النحل ولا ورد بلا شوك . وقضيت انا ووالدتي ايام الحداد على والدي بين النواح والبكاء حتى اذا انقضت ستة اشهر منها خطر على بال والدي ان يجعلني رب عيلة فقالت لي لقد لقيت

في هذه الايام فتاة اصيلة النسب كريمة الخلق وهي ذات معرفة وجمال وحياء
طيبة اللسان ساحرة بلطفها وبما انها رقيقة الحال فهي تقيم في البيت ككنز
مخبؤ في خرابة واذا كان بيتها صغيراً حقيراً فما ذلك بسبب لاذلالها لدى ذوي
العقول الراجحة فانه يوجد احياناً في الخرائب حجارة كريمة يرغب فيها الملوك
والسلاطين . فاذا كان هذا البدر ينير مسكنك وطريقك فتزوجها وكن
سعيداً واذا كانت كبيرة السن فما ضر ذلك بشيء . اتما الاثنان قد انضجتكما
خبرة الايام وعمرتكما صروف الدهر واذ كنت قد جاوزت
الاربعين فلا تلتمس لك عروساً صبية . اني من يوم مات ابوك وانا عائشة
على انفراد في عزلي فلو كنت متزوجاً ولك اولاد وعيلة لما كنت هكذا
شقية فريدة في معيشتي بل لكنت بسرور بستانية تلك الاغراس والقيمة
على العناية بامرهم وانا سعيدة مغتبطة بالاحتفاظ على سلالة اسرتنا وبالجملة فان
والدتي اكرمت لي من الكلام بهذا الشأن الى ان اعولت على الزواج وبعد
زواجي بسنة توفيت والدتي فامر موتها بي تأثيراً شديداً حتى مرق قلبي والله
كم تحمل اهلي المساكين من الآلام والمتاعب في سبيل تهديبي وتعليمي حتى
اذا اصبحت تلك الثمرة دانية القطوف وافاهم رسول الردى فاقتادهم الى حفرة
القبر بين الف صنف من الاكدار والاحزان فاضلم النهار في عيني وكدت
اموت غملاً لو لم يرزقي الله ولداً ذكرآ في اليوم التالي لوفاة والدتي فكانت
ولادته سبباً لتعزيتي وسلوي ثم تزايد عدد اولادي حتى بلغ الخمسة في مدة
تسع سنوات

وبعد ان خدمت الحكومة ٢٥ سنة وقاسيت من البرد والحر اشكالا
والواناً واجترت حزون الحياة وجبالها وذقت حلوها ومرها عينتي الحكومة

قائداً ومنحتني راتباً مع معاش تقاعد وقد قلت لنفسي عندئذ ها قد انصرفت
عنك الهموم والاكدار وطابت لك الدنيا بعد ما خبثت اذ ظننت ان ساعة
الصنو والراحة قد دنت ومعها وافت فرصة الذات واني لا قضي وقتي بهدؤ
وطمأنينة بين ذوي ناعم الفكر والبال بينا يكون اولادي آخذين بالنمو والنشو
رويداً رويداً فيتعلم كل منهم ويصبح شهيراً بين الناس بما يكون مسرة لخطاري
وقرة لعيني . ولقد تكون عيشتي من ادناً ما يكون على هذه الحال
لولا ان ذكرى الموت كانت تعاودني في كل حين فتتمله امامي اسود ينقص
مرآه عيشي ويكدر صفاءه . ففي كل لحظة كان يذكرني به قولهم لي {يا شيخ}
ثم شعري هذا الذي اخذ يتشعب فيه البياض بما يسود ايامي وافكاري .
وبينا اكون ضاماً احد اولادي الى صدري كانت دموعي تنحدر من عيني
ويعتريني الذهول وتغيب حواسي ثم اقول : ان هؤلاء الاولاد سيهملون
وشأنهم بعد موتي ولا من يعيرهم لفته انعطاف او من يمد لهم يد المساعدة
ولما فاه الزائد بهذه الالفاظ تساقطت العبرات من عينيه كما يتساقط
المطر وزفر زهرة بعثت الاسى في صدور جميع رفاقه حتى بغضتهم في
الحياة وجعلتهم يلعنون هذه الدنيا ويسخطون على الحظوظ والاقدار
ويصممون على انه عند نهاية مهمتهم يغادرون خدمة الحكومة ويعزلون
الدنيا في مكان قصي عنها بعيد وقد قالوا . اذا كانت الحياة قصيرة الى
هذا الحد ولا لها من القيمة ما يعادل قلامه ظفر واذا كانت هذه هي نهاية
المتاعب فيها فعلام هذا الهم الناصب وهذه الاسفار والاطوار وقد بلغ منا
التأثر الى ان كل واحد منا كان يريد الانصراف الى خيمته منقبض الصدر
مكتئب النفس واذا بصوت غريب طرق اسماعنا على بقعة جاء من وراء

الخيمة ثم دنا فرأينا شيخاً هرمًا يتقدم منا بمزيد الاحترام وهو يناهز المئة والخامسة والعشرين من عمره مستوي القامة غير شاحب اللون تدل ظواهره على ان شهيته للطعام ورقاده وحواسه الخمس وقواه الحيوية متعادلة مع قواه العقلية فبعد ان حيانا بزايد الاحترام استأذن منا للجلوس ثم ابتداء حديثه قائلاً . لقد وصلت الليلة من بلد بعيد منهوك القوى فشاهدت عن بعد نوراً فقلت في نفسي ان ساعة الراحة قد دنت اذ اقضي هذه الليلة الى جانب هذه الخيمة اميناً على نفسي من الوحوش الضارية ولكن جلبتكم منعت غني النوم وقد سمعت حديثكم بكامله واثر بي كلام القائد ولم استطع ان امانع نفسي وان لم اكن بالمدعو عن ان اجيء اليكم لاخفف عما بنفسه ولاعطيه بعض النصيح والارشاد مطاوعة لعاطفة الانسانية . فليقرأ من الان تاريخ الشيوخ الذين عمروا الى المئة فانه لو لم يقرأ في شبابه نصائح سعدي في جلستانه لما كان اليوم حليف هذه الكتابة واليف هذا الهم وغريق تلك الاشجان والحق اقول لكم ان الذنب في مرور السنين بهذه السرعة التي نراها واقع على شعرائنا وعلى كتابنا واجدادنا

ولا ادري لاي سبب قد خفيت الحقيقة طول هذه القرون ولم يبد جلاؤها ساطعاً . ان الحياة التي قدرها لك العلي سبحانه وتعالى لهي فوق ضعفي الستين سنة . انظر في كتب الطبيعة وعلى الخصوص العلوم الطبيعية تر ان للخلائق الحية بعد الميلاد مقدرة بوجه التقريب ذلك ان تحسب زمن استتمام نموها ثم تضربه بخمسة تعلم مدى عمر كل خليفة . واني اعطيك مثلاً على ذلك الحصان الذي يستتم نموه في الخامسة من عمره فانه يعيش بحسب التعديل المتوسط ٢٥ سنة ولما كان الانسان يستتم نموه في الخامسة

والعشرين من عمره فاضرب هذا العدد بخمسة يكن لك مقدار السنة التي يطول اليها عمر الانسان . فلا يحزنك اذن ان العناية قدرت لك عمراً قصيراً بل من الواجب على الكتاب من الان ان يذكرنا في كتاباتهم ان الخمس والعشرين سنة الاولى من العمر هي للمراهقة وان الثانية والثالثة للفتوة وللشبيبة وان الرابعة والخامسة للاكتمال ولاشيخوخة ودونك نفسي يأت لك البرهان الصادق على ما اقول . ومتى بلغت المئة والخامسة والعشرين من عمرك يمكنك ان تدعو نفسك شيخاً هرمًا فاذا تأصل هذا الاعتقاد في عقول الناس فلا يعود واحد منهم يخفي عمره . واذا كتب الفلاسفة والعلماء سواء في شعرهم او في نثرهم ان هذا البياض الذي يلم بالشعر ليس الا دليل الكمال وسبب الاحترام لزال هذا الخوف منه رويداً من ادمغة الناس واصبح وهم يتمنونه ويرغبون فيه . ان التوتة لا تكون في الحقيقة ناضجة الا متى صار لونها الاخضر ابيض وهكذا اللؤلؤ والماس كلما زاد في البياض زادت قيمتهما

اني ادعوك ان تصغى الى كلامي وان تعي ما فيه من النصيح والارشاد ولا يحزنك ان ترى شعرك يتبدل سواده بالبياض ومعه ضاقت فسحة آمالك بيد انه اذا كان البياض قد سود افكارك وكان رسول الهم والشجن فالدواء هين سهل المنال وليس ما انت فيه بالمرض العضال والداء الذي يعصي علاجه بل اسمع ما اقله لك من الكلام الدقيق . ان الافكار السوداء هي التي تقصر العمر وتجعل الايام ثقيلة العبء على الانسان وتجعله بائساً شقيماً . وان ما تراه من الموت سابقاً لا وانه فاتما هو شاذ لا يعول عليه ولقد اري اني اطلت الحديث ولكن قبل اتمامه اقول ان الفلاسفة

ذكروا ان احد الاسباب الجوهرية العاملة على هذا الموت السابق لاوانه
انما هو هذا الخوف

(خاف من موته فمات من الخوف كثير فثق وطاوع وناصب)

فلما انتهى الشيخ الى هنا من حديثه اراد ان ينصرف ليستريح فنهض
القائد اليه وهو مسرور منشرح الصدر واخذ يقبله ويقول يا علم الشرق يا
طبيب النفوس يا محسناً الى الانسانية . ان اقوالك قد ملأت نفسي سروراً
وفرحاً وانتزعت منها قتاد الهم وانتشلتني من وهدة الكآبة . لقد افتتحت لنا
بابلغ اسلوب مغالقة الحياة واسرار الطبيعة واريتنا مدى عمر كل مخلوق فحق
على كل شيخ ان يدعو لك في صلواته والان فنفضل باطلاعنا على سر كاتماماً
لجملتك وتكميلاً لمعرفتك ليكون الكل حتى يوم القيامة غرقى بحر فضلك
واسرى احسانك قل لنا ماذا صنعت مدى عمرك حتى حفظت جسمك هكذا
سليماً معافى لك صحة تغبط عليها وكلنا يتنى مثلها لنفسه . اشرح لنا ملياً طريقة
معيشتك لتقتدي بك ونحذو حذوك ولا شك ان الله قد ساقك الينا فاجلس
وتمم لنا حديثك المملوء عذوبة وحكمة

وان القائد لج في الاحاح الى حد لم يسعه معه الا المطاوعة فاجلسوه
في صدر المكان واستأنف حديثه فقال . انكم لا تجهلون ايها السادة ان بنية كل
منا يختلف تركيبها باختلاف الاقاليم والعادات والاماكن التي تقطنها مما
يوجب على كل واحد ان ينظر الى مزاجه واستعداده ثم يتعمق في الخير والشر
لانه اذا لم يدرك المرء استعداد مزاجه كما هو فقد لزمته العلل وتناوبته
الامراض اذ ان اول ما يشترط للعافية سواء للشبان او للشيوخ هو النور
والحرارة والهواء الطلق النقي والمسكن الجاف يتخلله الهواء من جميع جوانبه

وكذا يجب النظافة في الجسم والملابس وكل الاواني التي تستخدم للطعام
والابتعاد عن كل قذارة كيف كانت مع انتقاء الطعام الملائم للجسم لان
الطعام الجيد الشهي يعطي صحة وعافية

ولقد توصل احد نطس الاطباء بهذه الطريقة الى اثبات صحته
وهو ان كل بقعة في الكرة الارضية جعل فيها فصل لكل عمر . ثم
ان الملح والخبز واللبن والزبدة هي من اكبر اسباب الصحة وبالتالي اطالة
العمر وانه يوجد في الملح المصل المطيل للعمر وهو الذي كان يبحث عنه
الاقدمون ويتخبطون لاجله في دياجير الظلمات . فاذا شئت ان تكون تام
الصحة والعافية فاجعل شربك الماء الزلال القراح وكن معتدلاً في اكلك
ونومك وتنزهك ورياضتك وملذاتك واعمالك وليكن الاعتدال رائدك
وعنوانك ولا شيء يهدم بنيان الجسم مثل الافراط في كل امر . اشتغل
باعتماد قدر ما تشاء في نهارك ولكن اتخذ الليل لراحتك ولقد يكفي لنومك
سبع او تسع ساعات واحذر في شبابك ان تجهد جسمك او ان تتهاون قواك
واذ كانت الصحة لازمة لك في شيخوختك فاستبق عدتك منها في ايام الشباب
(من جار على شبابه جارت عليه شيخوخته) واعلم ايها العزيز ان شيتين في
الحياة يقصران حبل العمر هم النفس وحدة الطبع فاذا كنت حسن الطبع
رضي الخلق عذب اللسان كان الهناء خادماً والشباب ملازماً وبالجملة
فاعلم ان ما تراه من ضيق اخلاقك وكسلك واحزانك واكتئابك وحدة
طباعك وسائر آلامك انما هو مسبب عن سوء الهضم وعن اختلال معدتك
(المعدة بيت الداء) واني امحضك الصدق فاعيد عليك ما قاله سعدي « من

المعدة تجيء حسن حال الانسان وراحة جسمه لان على حسن انتظامها يتوقف كل شيء»

ولقد صرح احد اطباء في خطاب له بناء على ما شاهدته في التشريح فقال : ان مثل المعدة والقلب الانساني مثل سفينة بخارية . فالآلة تدوم دائمة في عملها ما دام الرجل في حالة جيدة فانا كانت نار الرجل غير متناسبة صبحت حركة الآلة غير منتظمة واذا كان ربان السفينة غير خبير بصناعته فلا يمكنه ان يوصل سفينه الى ميناء امين وهكذا اذا لم تتعلم قليلا من علم الهيجين (الصحة) ولا سيما اذا لم تراعى اصوله فقد تعذر عليك الوصول بسفينة جسمك الى الميناء سالماً معافى . ولا بد لي قبل انفضاض هذا الاجتماع من ان اختتم كلامي بالقول لك . انك اذا وعيت كلامي جيداً وعملت به امكنت عند ذلك ان تتمتع بالحياة اذا كان الجسم والنفس مستريحين واعلم ان راحة الجسم في الوضوء وراحة النفس في الصلاة

الى هنا اتم الشيخ كلامه وانفرط عقد اجتماعنا وكان ذلك في سنة ١٣٢٠ الهجرة اذ كتب دانيش هذه القصيدة لتبقى تذكاراً خالداً في العالم وتكون طمأنينة لبال الانسان



قسم

الم تعلمي اني احبك يا هند
ومن عجب يا هند ان تتجاهلي
وحسي دليلاً وجنتاك فكما
ولولا الهوى تخفين اذ ذاك سره
فلا تنكري مني ظواهر سلوة
وقد تظهر الحى فيذهب حرها
ايرضيك ان تغرى بنا السن العدى
ايرضيك في هذا الجمال تهتكى
ملككت بهذا الحسن نفساً عزيزة
فلا تطمعي في ان تذل لانها
يميناً بمن سوى السماء وشادها
ومن ادهش الالباب من بعض صنعه
ومن اطلع الزهر النجوم كأنها
واقسم بالارض التي في ربوعها
وبالروض نجني زهره ونسيمه
وبالماء يروي كل قفر واهله
وبالسحر بين العين والقلب كامناً
وهل يخفى في نظرة العاشق الوجد
بما عرفت سلمى وما نقلت دعد
لحظتك لحظاً يستحي منها الورد
لما غص منك الطرف واتقد الخد
فلحجب ما يخفى وللناس ما يبدو
وقد يتوارى حرها حين تشتد
ويهتك اسرار الهوى حاسد وغد
ايرضيك اعلاني باني له عبد
لها المجد يدعوها اليه او اللحد
يهون عليها الموت ان لم يكن بد
ظلالاً من الانوار تعلو وتمتد
عجائب خلق ليس يدركها عد
نواظر عشاق يقابلها السهد
نشأنا وايام التداني لنا عهد
يفوح الشذا منه واطياره تشدو
فتحي به الارواح والحجر الصلد
فنه لها رسل ومنها له وفد